



وكان شغف الأمراء من أبناء البطالمة وتقديس الناس للآلهة خير دافع إلى إقامة العابد الهائلة بمواطنها المزخرفة بالنقوش والكتابات ، كما كان سبباً في إحياء فن النحت والتصوير ، إلى حد أن كانت بعض التماثيل تعمل من الذهب والعاج في غاية من الدقة والجمال .

الفن الإسكندري

للدكتور أحمد موسى



لا نقصد بعنوان المقال تحديد الفن بعصر الإسكندر كما لا نقصد تحديده بمدينة الإسكندرية وحدها، وإنما المقصود بالفن الإسكندري أنه الإنتاج الفني في البلاد المصرية منذ تأسيس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق. م إلى نهاية حكم البطالمة ، ذلك الفن الذي عُرف أمره وتأثر به فن العالم القديم

وبالنظر إلى قلة ما تبقى من هذا الإنتاج وإلى ضآلة المواد العلمية التي يمكن الاستناد إليها ، وإلى ما بين أيدينا من الآثار البطلموسية فإن تاريخ الفن الإسكندري بمعناه الشامل من الموضوعات المسيرة التي تجعل البحث ناقصاً قابلاً للنقض في بعض نواحيه ؛ إذا ما ظهر من نتائج الحفر وما قد يعثر عليه من النصوص ما يعمد اللثام عن بيانات واستنتاجات تغير ما تقرر حتى الآن

على أنه يمكن القول بأن ما بقي من التماثيل وبعض الآثار يعطى ما يقيد في هذا المجال ، ويمهد السبيل إلى معرفة المدى الذي وصل إليه أثر الفن الإسكندري في الفن الإغريقي أو الهيليني

ومما لا يقبل الشك أن مدينة الإسكندرية كعاصمة للبلاد أنشئت وشيدت على نمط رائع من حيث التخطيط العام للمدينة ومن حيث تنظيم شوارعها ومبانيها التي عملت لأول مرة في هذا القطر من الطوب بطريقة هندسية جديدة في نسقها جميلة في مظهرها ، ولأنها أن حوائط المباني كانت مغطاة من الداخل بلوحات من المرمر زخرفت بنقوش من المدن . وهذا كله نتيجة للرغبة في التمدن والمطرش نحو الأبهة



تمثال النيل

وبطبيعة جو الإسكندرية الأقرب إلى الجو الأوربي والخليط الذي كان يعيش في تلك المدينة من البطالمة والمصريين وغيرهما ، كذلك وجود الفلاسفة المشتغلين ضمناً بالطب والجراحة فضلاً عما يعثوه في العقول بتعاليمهم التي تمحض على النظر والدرس والتأمل إلى جانب مجموعة الكتب العظيمة بالمكتبة الخالدة — في هذا المحيط وهذه البيئة نشأ الفنان الإسكندري محاطاً بما يوقظ فيه روح العمل والابتكار

ولعل خير مثل لذلك بقايا التماثيل ومنها رأس من البرونز يمثل امرأة مصرية تجلت على ملامحها مصريتها وحيويتها^(١) .

وكان للإنتاج الفني غير الماهرة والزخرفة والنحت الواقعي Realistic Sculpture أنجحاً مثلياً راناً تراه في تمثال « النيل »

(١) راجع: Von Sybel, Weltgeschichte der Kunst.

وأيضاً: Rayet, Monuments de l'art antique II. Paris 1863.

الثاني قبل المسيح ، كان الفن الإسكندري سائراً نحو الهبوط ؛ فانتقل إلى إيطاليا . وخير برهان على ذلك أنه في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد شيدت في عبيي عمائر على نمط لا يختلف في الجوهر والمجموع الإنشائي عن ذلك الذي بنى للمرة الأولى في الإسكندرية ، حتى الزخارف التي عملت على حوائط هذه العمائر فإنها شملت ذلك الطابع الإسكندري المميز ، والذي يقرر تأثيرها بها أفصح تقرير هذا فضلاً عن أن العارف بتاريخ الفن المدارس لأصوله يذكر جيداً أن المشيدات التي أنشئت في منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، سواء أكان ذلك في منطقة كيبانيا أم في روما ، وسواء فيما يتجلى على البناء المقدس للآلهة « بانثيون أجرييا »^(١) Pantheon of Agrippa أو بناء مسرح بومبيوس^(٢) Theatre of Pompeyus أو قصر نيرو الذهبي Nero Golden Palace كلها تدل على أنه

لا مفر من الاعتراف بوجود أثر الفن الإسكندري فيها .

ظهرت بعد هذه المرحلة صور رائعة هي تلك التي رسمت على أغطية توابيت الموتى ، والتي قصد بها الاستعاضة عن الأقمعة الذهبية التي كانت المصريون الأقدمون يعملونها على الأغطية لتمثيل وجه الميت .

وكان ظهور هذه

الصور تدريجياً ونادراً ومرتبطاً بنتائج الحفريات التي عملت

(١) راجع Huelzen, in Mitteilungen des Archaeologischen Institutes 1893.

(٢) مبنى أقيم في روما (يعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا روتوندا) أكمل أجرييا بناءه سنة ٢٧ ق.م ، وقد دُفن فيه رفايلو وأنيبال كراتشي وفينكتور إيمانويل الثاني ، وقد ثبت أن هذا المبنى لا يتصل بمبانيات أجرييا كما كان مظنوناً قبلاً .

المحفوظ بالفايتيكان في روما ، والذي وصل منه نموذج إلى هذه البلاد منذ أعوام . فإذا نظرت إلى صورته رأيت إلى أي مدى استطاع الفنان الوصول إلى ذروة الفن المعاصر لتلك الأيام ، فإن جانبه تتضائل التماثيل التي عملت للأسماء ولهوميروس ، والتي لا يمكن أن توصف إلاّ بكونها من أحسن ما أخرجته الفنون



أنظر إلى صورة الإله « النيل » ولاحظ ما بدا على وجهه من عوامل التأمل والتفكير في مصير أولاده الستة عشرة « فروع النيل الكبرى والصغرى » وشاهد كيف يتكئ بكفئه على (أبي الهول) الرابض بجانبه ، وقد اختار الفنان « لأولاد النيل » أوضاعاً شتى فظهر كل منهم مغالماً

لغيره ، وفي هذا ما فيه من النضج الفني

كذلك أتجه التصوير اتجاهاً جديداً تفرج من تمثيله لصور الأسماء والعظماء إلى تمثيل الحياة العامة والمادات الاجتماعية فرسمت على الحوائط مناظر صادقة في التعبير عن العصر الذي عملت فيه ؛ وغير ذلك للمناظر الطبيعية كذلك التي صورت لنا أجزاء من المدينة محاطة بالغابات ذات الأشجار العالية ، والتي نصبت بينها تماثيل بأوضاع دلت على حسن التنسيق والوصول إلى درجة فائقة في فن تخطيط المدن وهندستها ، وهذا الوضع يذكرنا بالحالة التي كان الفن الإومباني (نسبة إلى بومبي) يسير عليها

على أن الفن الإسكندري ، أو إن شئت فقل الفن المصري في عهد البطالسة ، كان قصير العمر بالقياس إلى الفن المصري في عصور أخرى أو إلى الفنون الأجنبية ، فنند ما وصل الفن البرجاموني والفن في رودس إلى أوج عظمتها حوالى منتصف القرن

وكان تصويرها بالألوان على خشب الجيز أو البسخ على ما نظن وكذلك على قماش التيل - وكانت توضع على التابوت أو تثبت في غطائه مكان الرأس

وكانت الألوان معدنية مخلوطة بالشمع أو بصفار البيض أو بالغراء وأحياناً كليهما معاً، يرسم بها (معداً ما كانت بالشمع) على سطح مدهون بالجيبس أو الطباشير .

ويتضح من الكتابات التي نقشت على لوحات صغيرة ووضعت مع التوابيت أو في داخلها أو التي كتبت على بطاقات

صغيرة من الخشب وثبتت إلى جانب العنق Mumies-eticette أن أصحاب هذه الصور كانوا من الأغرريق ، وبالرغم من هذا فإنه لا يمكننا الارتكان إلى ذلك لمجرد علمنا بأنه حتى ولو كان الأغرريق قد تعودوا عادات المصريين في طريقة التحنيط والدفن الخ ، في القرن الثاني قبل الميلاد ، فإنه يعد كثيراً أن يكون أصحاب هذه الصور من الأغرريق لاختلاف ملامحهم ولون شعرهم وتجمدهم ولون العيون فضلاً عن المجموع التكويني للرأس . وقد تكون هذه الصور بالرغم مما كتب عليها غير معاصرة للبطالسة .

ومهما يكن من شيء فإن عصر الفن الإسكندري مع قصره كان شاملاً لدينة الإسكندرية بمكتبتها ومنارتها ، وشاملاً لآيات من الفن لم يبق منها إلا القليل الذي مع قلته دل دلالة صريحة على أن الفن المصري في تلك الرحلة ، وإن كان قد سار في اتجاه يلائم العصر الذي وجد فيه ؛ إلا أنه أثر في غيره أكثر مما تأثر هو بالغير .

احمد مرسى

في الفيوم^(١) منذ سنة ١٨٨٨ ولكنه على جانب من الكثرة التي تسمح بالدرس والتأريخ .

وقد اخترنا ثلاثاً منها تعطي فكرة صحيحة عن قوة التصوير ودرجة إتقانه ، فبالنظر إليها نلاحظ جمال اللامع وحسن التعبير ونبيل الإخراج ، إلى جانب ما يبدو على الوجه ويشع من الميتين من تأثر نفسي عجيب .

(١) كانت الفيوم في التاريخ المصري القديم أرضاً غير زراعية ، عمل الفراعنة منذ الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق م) على تخصيصها وتصيرها وذلك بعد القنوات النيلية إليها وبناء مساكن لائتوت فيها مياه تلك القنوات . وقد وجدت قناة نيلية طيبة على يد ٢٢٠ كيلو متراً جنوب بني سريف كانت مياهها تصرف في الصحراء الغربية فعمل المصريون على تحويل مجراها ومدوه حتى وصل إلى الفيوم بالقناة الحالية المسماة بحر يوسف ، ولا تزال بعض آثار السدود التي أقاموها بقصد حجز المياه ورفنها لتمكين من ري الأراضي المرتفعة نسبياً ، موجودة للآن ، وبهذا أمكن تحويل مجرى المياه إلى الفيوم وتصريفها في أرضها فتشأت من ذلك الحصرية التدرجية .

وكانت نتيجة وصول المياه إلى تلك المنطقة أن تجمع الزائد على الحاجة منها في جزء منخفض فتكونت بحيرة موريث كما سماها الأغرريق (بالمصري القديم M-weret) . وأمکن باستخدام السدود والخزانات ري الفيوم وما يجاورها ، ولشأن ذلك تكونت بحيرة فارون الحالية . وقد سمي أقباط مصر هذه البحيرة « فيوم » Pheom ، وهكذا ظل الاسم حتى الآن

وعلى الساحل الغربي لبحيرة موريث وجد قصر لايرنت Labyrinth كما وجد أهرام أمشمت الثالث (٢٣٠٠ ق م) والقرب منه كانت العاصمة التي سميت في عصر الأغرريق كروكو ديپولوبوليس نسبة إلى التمساح وبسما سميت أرسينو Arsinoe . وقد عثر النقبون في القرن التاسع عشر على كثير من المخطوطات القيمة في تلك الأماكن .

ومدينة الفيوم الحالية تقع في شمال هذه المنطقة ، حيث يوجد جامع باعنة أثرية قديمة .

ويمكن لتوسع في هذا الشأن وفي أغلبية المرميات المصرية في عصر البطالسة مراجعة :

(1) The Fayum and Lake Moeris, London 1892

(2) Grenfel and Hunt, Fayum towns and their papi. London 1900

أما لايرنت فهي تلك المباني التي أقيمت على سطح الأرض وفي باطنها ، وكما ذكر هيرودوت (٢ - ١٤٨) وسترابو (١٧ - ٨١١) كان مجموع الغرف ثلاثة آلاف كلها من الحجر ، وإذا اجتمعت كل مبادئ الأغرريق في مساحة واحدة تتضاد أمام مساحة هذه المباني ، كما قرأ أنها كانت أجل من الأهرام وظلت قائمة حتى خربها الرومان فلم يبق منها إلا الأحجار التي أزيلت بمرور القرون والأموات وأقيمت مكانها المقابر ، وقد أجرى السير فلندرز بيتري العالم الأثرى المعروف أعمال الحفر وعثر على مجموعة رائعة من الصور وغيرها .

راجع : Edwards, Pharaohs, Fellahs. p. 95